

الحقيقة الحلية في حرمة العادة السرية

محمد بن عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا منتهي لعطاياه ؛ حمدًا يبلغ رضاه ،
وصلي الله علي أشرف من إجتباه ، وعلي من صاحبه
ووالاه واتبع هداهوسلم تسليماً لا يُدرك منتهاه .
إن الإسلام يهدف إلي إقامة مجتمع نظيف ، لا تُهاج فيه
الشهوات ، وتُستباح فيه الحرمات ، وهذه هي طهارة
الروح والبيت والجماعة، ووقاية النفس والمجتمع
بحفظ الفروج من الدنس ، وحفظ القلوب من التطلع
إلي غير حلال ، والجماعة التي تنطلق فيها الشهوات
بغير حساب جماعة قدرة هابطة في سلم البشرية ؛
مُعرضة للخلل والفساد .

أخي الحبيب : قال الله تعالى : " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ "
جاءت آية الاختبار لتمييز الخبيث من الطيب ، وتُفرق
بين النائحة الثكلي والمستأجرة ، ففرق بين من يدعي
حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلسانه فحسب وبين
الصادق في الإتياع .

أُتِج أعداء الحبيب وتدعي حبًا له ما ذاك
في الإمكان
وكذا توالي جاهدًا أعدائه أين المحبة يا أخوا
الشیطان

إن المحبة أن توالي من تحب علي محبته بلا
نقصان

فإن أدعيت له المحبة مع خلا فك ما يحب
فأنت ذو بهتان
لقد دعاك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلي الزواج عند
الإستطاعة ثم دعاك إلي الصوم عند العجز علي
الإستطاعة .

أيها الصادق المحب : إلي من سيكون ولائك ؟ وخلف
أي الركبين ستسير ؟ ووراء أي الداعيين ستكون خطاك
؟ .

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
إِنَّ مِمَّا أَخْبَسِي عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْعَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ
وَمُضِلَاتِ الْهَوَىٰ " 1 .

يعيش العالم حالة من الإثارة الجنسية العارمة المنذرة
بالهلاك والدمار العام ، فلا يكاد الإنسان ينظر يمينه أو
شماله إلا ويجد تلك الإثارة التي تدغدغ الرغبات
الجنسية في الرجل والمرأة ، وتلهب نار الشهوة فيهما
، فالتلفاز والإنترنت والإذاعة والمجلة والجريدة و ... ؛
كل هذه الوسائل تصب في بحر الإغراء والتحريض علي
الفواحش ، وحتى الإعلانات الدعائية الاستهلاكية
المختلفة تحمل الصور الإغرائية ، حتى الإعلانات
لإطارات السيارات تجدها وقد صُوِّرت بجانبها امرأة
شبه عارية ، وفي الشارع اختلط النساء المتهتكات
المتبرجات بالرجال ، فمن وقت لآخر في هذه الشوارع
تسمع كلمات الغزل ، والإغراء بالفاحشة بين الجنسين
، وقد انطلقت عيون الشباب تترقب نظرة ، أو حركة
من الفتيات المتهتكات حتى يلحقوا بهن أملاً في
تحقيق مأربهم الخبيثة .

لهذا كان واجب المسلم أن يكون باباً قوياً مغلقاً في
وجه هذه الانحرافات ؛ واثقاً بالله مستعيناً به ، ومتعلقاً
بحبله المتين في هذا الزمان الذي قلَّ فيه أشباه
يوسف ، وعدّوات الحور العين قد أطللن من كل مكان ،
وأخوات امرأة العزيز عجت بهن الطرقات في حصار
يشبه ما فعلته أختهن من قبل " وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ " وأبرزت
كل واحدة منهن مفاتيحها ، وكشفت ما استتر من زينتها
ولسان حالها يقول للشباب " هَيْتَ لَكَ " .

إذا كان هذا هو الحال كما لا يخفي علي الجميع فإلي
أي شيء ندعو وبأي شيء نحتمي ؟ بالعادة السرية ؟ !!
معاذ الله .

إن الذي يدعو إلي هذه العادة وهو يظن أنه يدعو إلي
العفة والحياء فقد رام مستحياً ورأي سراً حسبه لجة
حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فيوفيه

¹ رواه أحمد في مسنده . قال الهيثمي (7/305) رجاله رجال
الصحيح فهو حديث صحيح .

حسابه جزاء فعله ، فهو يدعو إليها وهو يظن أنها تسكن الشهوة وتمنع الزنا واللواط والفاحشة في المجتمع ونسى أو تناسى أن صاحب هذه الفعلة حاله تمامًا كحال الذي يشرب من ماء البحر الملح الأجاج ليرتوي وهو لا يعلم أن كثرة شربه إنما تزيد عطشًا وأنها حتمًا ستقتله بعد وقت قصير جدًا

قال القاضي أبو بكر بن العربي : وعامة العلماء علي حرمة - الاستمناء - وهو الحق الذي لا ينبغي أن يُدان الله إلا به .

وقال بعض العلماء : إنه كالفاعل بنفسه ، وهي معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس حتى صارت قبلة - مسألة - ويا ليتها لم تُقل ، ولو قام الدليل علي جوازها لكان ذو المروءة يُعرض عنها لدناءتها .

وما أجمل ما قاله الإمام الشوكاني حيث قال : ولا شك أن هذا العمل هجنةٌ وخسنةٌ ، وسقوط نفسٍ ، وضياع حشمةٌ ، وضعف همة .

ذهب المالكية والحنفية والشافعية وجمهور العلماء إلي حرمة الاستمناء ، بل وستعجب إن قلت لك أن ممن ذهبوا إلي حرمتها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله !! قال الإمام ابن تيمية رحمه الله : أما الاستمناء باليد فهو حرام عند جمهور العلماء وهو أصح القولين في مذهب أحمد . مجموع الفتاوى ج 34 ص 329 .

قال ابن قدامة الحنبلي في المغني : ولو استمني بيده فقد فعل محرماً .

قال ابن القيم : والصحيح عندي أنه لا يُباح . وقد ذهب الأقلون إلي كراهته ، وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي : وهذا من الخلاف الذي لا يجوز العمل به ، وليت شعري لو كان فيه نص صريح بالجواز ، أكان ذو همةٍ يرضاه لنفسه ؟!! .

* وإليك أخي الحبيب الأدلة القاطعة اليقينية علي حرمة الاستمناء :

1- قال الله تعالى : "وَلَيْسَتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْزِبَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ" أمر الله سبحانه وتعالى في هذه

الآية بالإستعفاف وترك ما ينافيه ، والأمر للوجوب لمن لا يستطيع النكاح .
نطرح هنا سؤالاً :

هل العادة السرية من الإستعفاف المأمور به في الآية أم لا؟؟

فإن قيل : لا ليست من الإستعفاف ، إذًا فاجتنابها واجب لأن الله أمر بالإستعفاف واجتناب ما ينافيه ، وظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا لدليل من كتاب أو سنة يجب الرجوع إليه ، أما القياس المخالف له فهو فاسد الإعتبار .

وإن قيل : نعم هو من الإستعفاف المأمور به !! فيلزم القول بوجوبه لمن لا قدرة له علي النكاح !! والقول بهذا حدث في الدين وخرق لإجماع المسلمين . فليأمل .

الله عز وجل أمر بالإستعفاف لمن لا يستطيع النكاح ولم يجعل بينما أي واسطة ، والمقام مُقام بيان ، (والسكوت في معرض البيان يقتضي الحصر) بدليل قوله تعالى : " وَمَا كَانَ رَبُّكَ تَسِيًّا " فاقترض الأمر بتحريم الاستمناء ، ولو كان مُباحًا لبينه الله في هذه الآية .

2- قال الله تعالى : " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ... " تأمل كيف أمر الله بحفظ الفرج مُطلقًا ، أما البصر فقال : " مِنْ أَبْصَارِهِمْ " و " مِنْ أَبْصَارِهِنَّ " أتبي بأداة (من) الدالة علي التبعية ؛ فإنه يجوز النظر في بعض الحالات لحاجة كينظر الشاهد والخاطب ومثل ذلك . أما الفرج " وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ " و " وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ " مُطلقًا . فتدبر . . .

3- قال سبحانه وتعالى في سياق مدحه للمؤمنين : " وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ "

أمر الله تعالى بحفظ الفرج مطلقاً ولم يستثن من ذلك البتة إلا النوعين المذكورين في قوله " إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ " فصرح برفع الملامة في عدم حفظ الفرج عن الزوجة والمملوكة فقط ، ثم قد جاء بصيغة عامة شاملة لغير النوعين المذكورين دالة علي المنع هي قوله " فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ " وهذا العموم لا شك أنه يتناوله بظاهرة ناكح يده ، وكما ذكرنا أن عموم القرآن لا يجوز العدول عنه إلا لدليل من كتاب أو سنة يجب الرجوع إليه ، أما القياس المخالف له فهو فاسد الإعتبار .

والعادون : هم الذين تعدوا حدود الله كما قال تعالى : " وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " أي تعدوا ما أحل الله إلي ما حرم .

أخي الحبيب : الحذر الحذر من فساد التأويل ، فإن الله تعالى لا يُخادع ، ولا يُنال ما عنده بمعصيته ، ولا يُنال إلا بطاعته .

4- قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ " ² .

قال الحافظ ابن حجر في سياق تعليقه علي هذا الحديث : واستدل به بعض المالكية علي تحريم الاستمنا ، لأنه أرشد عند العجز عن التزويج إلي الصوم الذي يقطع الشهوة ، فلو كان الاستمنا مباحاً لكان الإرشاد إليه أسهل .

قال ابن القيم رحمه الله : والصحيح عندي أنه لا يُباح لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما أرشد صاحب الشهوة إذا عجز عن الزواج إلي الصوم ، ولو كان هناك معنى غيره لذكره .

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خُير بين أمرين أختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ... ولا يُجاب علينا بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كريم الأخلاق لذلك لم يذكر تلك العادة لدناءتها ولأنها ليست من المروءة في شيء

!! هذا تلاعب بالشرع والدين ، ولو فتحنا هذا الباب لفتحنا علي الأمة باب شر . ثم ما علاقة كرم أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشدة حياؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببيان الأحكام الشرعية؟؟!! ألم يُبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحكام الغُسل والجنابة والجماع والحيض والنفاس وغير ذلك للأمة كلها رجالها ونسائها ، فلماذا نجعل حياء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلو أخلاقه حاجزًا في سبيل تبليغ شرع الملك؟؟!! فليُتدبر

والاستدلال من الحديث السابق حديث ابن مسعود من وجهين :

- (1) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سكت في معرض البيان عن ذكر تلك العادة ولم يفتح أي باب آخر لقضاء الشهوة سوي النكاح أو الصيام فاقْتَضَى الحصر.
 - (2) عدل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الاستمناء إلي الصوم ، والصوم لا شك أنه أشق علي النفس من الاستمناء الذي هو أيسر للنفس وموافق لهواها ، فلا جرم أن العدول عنه إلي الصوم دليل علي حرمة .
- 5- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَجُلٌ شَابٌ ، وَأَنَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي الْعَتَّةَ ، وَلَا أَجِدُ مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ النِّسَاءَ . فَسَكَتَ عَنِّي . ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ فَاحْتَصِ عَلَى ذَلِكَ أَوْ دَرَّ " 3 .
- فاستأذن أبو هريرة وغيره من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإختصاء - وهو عملية جراحية لإزالة الخصيتين - ليدفعوا به مشقة العزوبة عن أنفسهم ، ويستريحوا من عناء مقاومة الشهوة ، فلم يرخص لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وارشدهم إلي الصوم ، فلو كان الاستمناء جائزًا لأرشدتهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه إذ أنه أسهل من الإختصاء الذي هو حرام - لأنه تغيير لخلق الله -

ومن الصوم الذي له مشقة عليّ النفس ، ورغم ذلك
أعرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه إلي الصوم فدل
علي حرمة لأن "السكوت في معرض البيان يُفيد
الحصر" .

6- هناك قاعدة شرعية تقول (الضرر يُزال) ودليها
قول الله تعالى : "وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ" وقوله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ" ⁴ .
أي لا يضر الإنسان نفسه ولا يضر غيره ، فيُستفاد من
هذا الحديث أن الأصل في المضار التحريم ، ومن مضار
هذا الفعل الخسيس الدنيء :

إنهاك القوي ، نحول في الجسم ، إرتعاش الأطراف
خاصة الرجلين ، خفقان في القلب ، إضعاف حدية
البصر إلي حد كبير ، إخلال بالجهاز الهضمي ، التهاب
منوي في الخصيتين ، ألمًا في فقرات الظهر ، ضعف
في الغدد المخية حتي يكاد صاحبها أن يُصاب بالخلل ،
ضعف الذاكرة والقوي المدركة والفهم ، الميل إلي
العزلة والإنكماش ، والشعور بالكسل والكآبة
والحزن... إلي غير ذلك من الأمراض والأضرار... ولن
أذكر الأدلة علي حدوث تلك الأمراض وإنما تستطيع أن
تراها أمام عينيك مثالًا حيًا عند أي ممارس لهذه العادة
السيئة حتي ولو مارسها مرة واحدة في الإِسبوع ، ولا
ضابط في ذلك !!! .

ولا غرب في تسبب العادة السرية في حدوث هذه
الأمراض وغيرها ، إذ أن ماء الرجل هو مخ ساقه وقوة
عقله وخلصه عروقه ونضارة وجهه ؛ فاستخراجه علي
غير الوجه الشرعي يؤدي حتمًا إلي أسوأ النتائج .
هذا من ناحية الأضرار الصحية فضلًا عن الضرر في
الدين للجرأة علي ما حرمه الله سبحانه وتعالى .
ومن مضار هذه الفعلة الخبيثة التسبب في قلة الحياء ،
وقد قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ
خُلُقًا وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ" ⁵ .

⁴ رواه ابن ماجه ، وصححه الألباني برقم 250 في الصحيحة ، 896
في الإرواء .

وأنا أسألك سؤالاً واحداً هنا : هل تستطيع أن تُخبر أحد
بأنك من أهل هذه العادة ، فضلاً عن أن تمارسها علي
مرثي منه ؟؟؟ .

طبعاً الجواب : كلا ... لماذا؟؟ لاستحيائك من الناس ..
أليس الله أحق أن تستحي منه فإنه يعلم السر وأخفي
وهو " خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ " ثم ألا تستحي من الملائكة الذين
يكتبون عليك الحسنات والسيئات؟؟! ما أعظم
جراتك ..

قال ابن الجوزي : ورب خال بذنب كان سبب وقوعه
في هوة شقوة في عيشي الدنيا والآخرة ، وكأنه قيل
له : إبق بما أثرت فيبقى أبداً في التخييط .
7- عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ
أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ " 6 .

حبيبي : ألا تعلم أن الإثم حواز القلوب ، ألم يقل النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " اسْتَفْتِ قَلْبَكَ " 7 ؟؟ .
أخي الحبيب أسألك هنا : ما حكم العادة السرية ؟؟ .

8- لنفترض جدلاً أنها مكروهة فقط وليست محرمة ،
فإنها من باب سد الذرائع تُحرم .. فهي والله طريق
واسع إلي الزنا واللواط والفاحشة - والعياذ بالله - وقد
قال الله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ
الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ " فإن النفس حالها أنها لا تشبع أبداً .

إن الشاب الذي يمارس تلك العادة السيئة الخبيثة كان
يمارسها علي حرج واستحياء وخوف وتستر ، وكم من
المرات ندم وعزم علي عدم العودة، فإذا به يفاجئ بأن
بعض طلبة العلم قد أخرج له بحثاً مطولاً عمره 15 سنة
قد توصل فيه صاحبه - غفر الله له - إلي إباحة هذا
الفعل الخبيث ، وفور انتهاء الشاب من قراءة عنوان
الرسالة فإذا به يُسرع إلي حيث لا يراه أحد لممارسة

⁵ رواه ابن ماجه عن أنس ، حسنه الألباني برقم (2149) في صحيح
الجامع .

⁶ رواه مسلم .

⁷ رواه الدارمي وحسنه الألباني .

تلك العادة ويُزال الحرج من صدره تمامًا فلا هو يعزم علي التوبة وعدم العودة ولا هو يندم ، بل ويتوسع فيها بحجة أنها مكروهة فقط وليست محرمة ، ثم بعد ذلك يعتادها ويملها ويحتاج إلي إثارة لممارستها ، فيتجه إلي المواقع الجنسية والأفلام الداعرة والصور العارية بل وبعد أن كان يغض بصره عن النساء إذا به لا يقدر علي ذلك ... فيتجه إلي ذلك كله لحين يخرج بحثًا آخر يبيح هذه الأشياء ، ونكون بذلك قد أخذنا من الشيطان شياكه لنضعها بين يدي الشباب ليقعوا فيها فريسة سهلة وغنيمة باردة له - عليه لعنات الله المتتالية - .. فإذا بالزنا واللواط والسحاق والفاحشة تشيع في بلادنا وتنتشر .. لماذا ؟ وباسم من ؟ . باسم الدين !! إن هذا لشيء عجاب!!! . قال بعض العلماء : ولو قام الدليل علي جوازها لكان ذو المروءة يُعرض عنها لدناءتها. ثم لتعلم أخي الحبيب أن :

معالج المحذور قبل أنه قد باء
بالخسران مع حرمانه

القاعدة تقول : من استعجل الشيء قبل أوانه يُعاقب بحرمانه . أي من توسل بالوسائل غير المشروعة تعجلًا منه للحصول علي مقصوده المُستحق له فإن الشرع عامله بصد مقصوده فأوجب حرمانه ، جزاء فعله واستعجاله ، ولا يظلم ربك أحدًا ، والجزاء من جنس العمل .

فإن الممارس لتلك العادة التي هي غير مشروعة قد استخدمها تعجلًا منه للحصول علي مقصوده المُستحق له ألا وهو قضاء الشهوة ، وبالتالي فإن الله عز وجل كما وعد العفيف الصابر بالغنى واليسير ؛ فكذلك تري الآخر يُضيق عليه وتتعسر أموره من حيث يدري ومن حيث لا يدري ، بل والله إن بعضهم حتى بعد الزواج تراه يعيش معيشةً ضنكًا ، وأعرف والله شبابًا قد يسر الله لهم التقدم لخطبة امرأة صالحة ثم قبل العقد يقومون بممارسة هذه الفعلة الخبيثة فتُعسر أمورهم من حيث لا يحتسبون ويُحرموا هذا الرزق بذنوبهم .

بعض المسائل :

* ألا يُعتبر الدعوة إلى الاستمناء من باب الخوف علي الشباب من وقوعهم في الزنا والفاحشة تيسراً لهم؟ لا ورب الأرباب . قال تعالى : "فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى" وقال : "إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" أخيرك بين أن تُصدق أمر ربك وبين أن تخدع نفسك بالأوهام والوساوس .

* ما دام الشباب سواء الصالح منهم والفاقد يقعون في تلك العادة ، فلماذا التشديد والتصديق علي الشباب؟

أقول : لنفترض جدلاً صحة هذا الكلام⁸ فأولاً : هذا شرع الملك لا يد من توضيحه وقد قال الله : "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" وقال : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" وقال "وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ" ثم إن الفرق بين الرجل الصالح وغيره أن الصالح لا يُصر علي أي معصية أبداً وإنما الهوي وتوقد نيران الشهوة ووسوسة الشيطان يوقعونه في المعصية فيفعلها وهو غير راض عن نفسه بل ويعزم التوبة قبل الفعل ، ويندم .. بينما تجد غيره لا فارق عنده بين طاعة ومعصية ..

* هناك بعض الناس يعلم أنها معصية ولكن يستصغرها .. قال ابن الجوزي : قال بعض السلف : تسامحت بلقمة فتناولتها ، فأنا اليوم من أربعين سنة إلي خلف . أحبتي في الله : اسمعوا ممن جرب ، وانظروا في العواقب ، واحذروا من شريرة تُستصغر ، فربما احترقت بلداً .

* قال الله تعالى : " قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ " وقال : " وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ "

⁸ والله إني لأعرف رجلاً كنت في أحد المرات تكلمت معه عن هذه العادة فقال لي : والله إني لا أعرف كيف تُمارس؟؟ وهذا الشاب لا يعيش علي كوكب المريخ ... بل والله مثله من الشباب كثير ولكن ينقصنا حسن الظن بالناس ...

اترك لك الإختيار في وضع الاستمناء تحت أحد النوعين السابقين

* قال بعض السلف : إن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر . قال بعض السلف : إني لأعرف ذنبي في خلق خادمي ودابتي . أريدك أن ترجع بذاكرتك إلي المرات التي مارست فيها تلك الفعلة الخبيثة لتتذكر كيف كانت معاملة أهلِكَ والناس من حولك بعد ممارستك لتلك الفعلة .. وستعلم .. .

* قد يُفتن البعض بأن بعض العلماء كرهها فقط مثل العلامة الإمام الشوكاني رحمه الله ؛ أقول لك : إن الإمام الشافعي رحمه الله قال : أجمع أهل العلم علي أن من استأبنت له سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس كائناً من كان . فلا تعدل عن الحق أبداً ولو خالفك من بين المشرق والمغرب . والإمام الشوكاني وغيره بشر يخطئ ويصيب ، فما كان من صوابه فله فيه أجران وما كان من خطئه فله فيه أجر ولا يحل لأحد أن يتابعه علي خطئه . ولتعلم أن من رد كلام الله وحديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو علي شفا هلكة ؛ قال تعالى : "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" . قال سليمان التيمي : لو أخذت برخصة كل عالم أو زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله . نسأل الله العافية .

كما أن أقوال أهل العلم يُحتج لها من الأدلة الشرعية ، ولا يُحتج بها علي الأدلة الشرعية .

أخي الحبيب اللبيب : المفتون لا يحتاج إلي فتنة ، إنما هو أصلاً مفتون ، قال تعالى : "وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" .

* ها قد علمنا حكمها ، وأيقنا بحرمتها ، وعزمنا علي تركها ، ولكن كيف التحصن منها ؟

لقد رأيت شيخي فضيلة الشيخ فوزي سعيد - فك الله
أسر كلمته - في أغلب الأحيان كل ما سُئِلَ سؤالاً يبدأ
في الإجابة بقوله :

1- الإستعانة بالله : فمن أعانه الله فهو المعان ومن
خذله فهو المخذول ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ أي
لا تحول للعبد من حال إلي حال ولا قدرة له علي ذلك
إلا بالله جل وعلا .

بل والله لقد رأيت شيخنا حفظه الله يدعو ويقول :
اللهم إنك أعنت نبيك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي
شيطانه فأسلم ، فأعني يا رب العالمين .

2- الزواج : وهي وصية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يَا
مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ " فسارع
أخي الحبيب اللبيب في هذا الأمر وأصدق النية وسوف
يُغْنِيكَ اللهُ عِزُّهُ وَجَلُّ فَعْرُهُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " تَلَاثَةٌ حَقُّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ
الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ وَالنَّاكِحُ
الَّذِي يُرِيدُ الْعَقَافَ " 9 .

3- الصوم : " وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ "
والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يكذب فإنه قال وجاء أي
وقاية فهو كذلك ، فالصوم يقويك الإفتنة بإذن الله
وبصدق حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فاجتهد في صيام النوافل ، فما الحاجز بينك وبين
صيام سيدنا داود عليه السلام الذي كان يصوم يوماً
ويُفطر يوماً ؟؟ .

4- تذكر مناتن المرأة : وهذه أيضاً نصيحة شيخنا
حفظه الله قال : كنت وأنا شاب كلما استعرت شهوتي
، أطفئ هذا السعار بأن أتذكر مناتن المرأة من بول
وغائط ورائحة عرق ورائحة فم فتتطفئ الشهوة . وأنا
أعلم أن الله قد زين للناس حب الشهوات من النساء ،
ولكن أقول لك : استعن علي حفظ نفسك بذلك حتى
يرزقك الله زوجة صالحة إن شاء الله .

9 رواه الترمذي وحسنه الألباني برقم (3050) في صحيح الجامع .

5- اعمل بوصية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَنْ أَبِي
أَمَامَةَ قَالَ : قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا
النَّجَاهُ قَالَ : " أَمْلِكُ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ وَابْنِكَ عَلَى
خَطِيئَتِكَ " ¹⁰ الزم بيتك في هذه الأزمنة التي إن أردنا أن
نصفها نقول : ظلمات بعضها فوق بعض ؛ إذا أخرج
الإنسان يده لم يكذب يراها . أصبحنا يُظلمنا جو ابليس
مظلم .. ف ... الزم بيتك ولا تخالط الناس إلا في
طاعة أو ضرورة كعمل ومثله .

6- مخالطة أهل التقى والتعبد ، ومجانبة أصدقاء السوء
، فالصاحب صاحب والقرين بالمقارن يقتدي ، والمرء
علي دين خليله .

7- إدامة الذكر علي جميع الأحوال : وأفضل الذكر
القرآن ؛ ثم الأذكار الموظفة (أذكار الصباح والمساء ،
أذكار النوم والإستيقاظ ، أذكار دخول الخلاء والخروج
منه و ..) والأذكار عمومًا . وأنصح بكتاب " مختصر
النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة " للدكتور محمد
بن إسماعيل المقدم حفظه الله .

8- لا تترك الدعاء أبدًا ، وخاصة في جوف الليل في
وقت التنزل الإلهي .. وتذلل لربك واستعن بالله علي
جلب النفع ودفع الضر ؛ فإنه لا يقدر علي ذلك غيره .
9- إلزم التوبة دومًا ... والتوبة هي ندم بالقلب ،
واستغفار باللسان ، وترك بالجوارح ، وعزم علي عدم
العودة .

10- التحلي بالصبر وطلب العلم واستحضار منظر
القبر أمام عينك دائمًا ، ولتعلم أنه عما قريب سينتهي
أجلك ، وستنزل إلي حفرة ضيقة لا تجد فيها إلا جليسك
الذي هو عمك ، فتزود لرحلة طويلة . ولتعلم أن الجنة
حُفت بالمكاره ، والنار حُفت بالشهوات .
ثم تذكر أن المسجد الأقصى أسير وأن احدي أمهاتك أو
أخواتك في فلسطين أو العراق أو غيرها ما يُفعل بها
الفاحشة وزوجها أو أخوها أو أبوها واقف أمامها يراها
ولا يستطيع أن يفعل شيئ ، أخي المسلم : إن

¹⁰ رواه أحمد . و صحيح برقم (1392) في صحيح الجامع .

المجرمين قد مكنوا الكلب - الكلب الحيوان - من مضاجعة احدي نساء المسلمين ... نعم ورب الكعبة هذا حدث .. وأنت أين !!؟؟ تمارس الاستمناء وتستمتع بالغناء وتجري وراء شهواتك وكأنك لا عقل لك .. بم ميزك الله عن الحيوان ؟ .. لا بالله عليك لا تغضب مني .. والله إنها كلمات من أخوك المذنب العاصي الذي يريد لك النجاة ولنفسه .. أخي الحبيب لا تكن فريسة سهلة للشيطان وأتباعه .

أخي : اعلمُ أنني أطلت عليك فسامحني ، ولكن والله لحبي لك وللمسلمين أجمعين .

* قال بعض السلف : إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد فخالف أقربهما من هواك فإن أقرب ما يكون الخطأ في متابعة الهوى .

قال بشر الحافي : البلاء كله في هواك ، والشفاء كله في مخالفتك إياه .

قال معاوية خال المؤمنين : المروءة ترك الشهوات وعصيان الهوى .

قال ابن القيم : وقد أجمع العلماء علي أن القلوب لا تُعطي مناها حتي تصل إلي مولاها ، ولا تصل إلي مولاها حتي تكون صحيحة سليمة ، ولا تكون صحيحة سليمة حتي يكون داؤها هو دواها ، فداؤك هواك ، ودواؤك مخالفة هواك .

قيل للحسن البصري : أي الجهاد أفضل ؟ قال : جهادك هواك .

قال أبو علي الدقاق : من ملك شهوته في حال شببته أعزه الله في حال كهولته .

قال الفضيل بن عياض : من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه مواد التوفيق .

قال ابن القيم : لكل عبد بداية ونهاية فمن كانت بدايته اتباع الهوى كانت نهايته الذل والصغار والحرمان والبلاء ، والمتبوع بحسب ما اتبع من هواه بل يصير له ذلك في نهايته عذابًا يُعذب به في قلبه ، ومن كانت بدايته مخالفة هواه وطاعة داعي رشده كانت نهايته العز والشرف والغني والجاه عند الله وعند الناس .

أخي الحبيب : والله لقد بذلت قصارى جهدي كي آخذ بيدك من هذه الهوة الساحقة ومن هذا المستنقع القذر الخبيث ، فلا تخذلني بالله عليك ، أعطني يدك الآن .. نعم الآن .. لتعاون سوياً علي البر والتقوى وإصلاح الأمة ونبذ العادات الخبيثة أمثال تلك العادة .
وأخيراً كلام الملوك ملوك الكلام ... قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَحْفَظُ اللَّهَ يَحْفَظْكَ أَحْفَظُ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ " ¹¹ بل وقال : " مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ " ¹² . تدبّر ...
حبيبي استعن بالله ولا تعجز وإن شاء الله لن أعدم منك دعوة بظهر الغيب .

حقوق الطبع متاحة لكل مسلم سواء بالتوزيع الخيري أو التجاري .

أخوكم المذنب محمد بن عمران
Omran_19844@hotmail.com

¹¹ للفقيه إلي عفوره محمد بن عمران رسالة في التعليق علي هذا الحديث المبارك بعنوان " تعطير الأنفاس بالتعليق علي وصية النبي لابن عباس " أرجو أن تُراجع لأهميتها .
¹² رواه البخاري .